جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامـــعة ديـالـــــى
كلـــــية التربيـــة

التمرد الاجتماعي والفنّي
في
شعـــــر الجواهـــــــــري

رسالة تقدم بها الطالب

جلال عبد الله خلف

إلى مجلس كلية التربية ـ جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

فاضل عبود خميس التميمي

1426هـ 2005م

عصر الجواهري اجتماعياً

يُعدُّ عصر الجواهري من أعقد العصور التي مرت على العراق في تأريخه الحديث، فهو عصر شاق في حياة المجتمع العراقي، الذي ابتلي أكثر من غيره بالغزو، والاحتلال، والاستعمار ، الذي أورثه الفقر، وأذاقه ألوان البؤس والحرمان ، فأصبح العراق كلهُ متأخراً، هيمن عليه الجهل، وفقد الأمن والنظام ، فقد ((حاق الخراب به والظلم، والخوف، والاضطراب، وحلّت به الفوضى، فقد كانت ضواحي بغداد تُسلب وتنهب وتسرق، وقد حاق بالحياة العامة التأخر والانحطاط))[1] ، فضلاً عن مشكلات الحياة السياسية التي كانت، ((أشد بروزاً للعيان، وأكثر تماساً بحياة الشعب بعد الاحتلال الإنكليزي، فقد أثرّت تأثيراً كبيراً في حياته اليومية، في رزقه، وعواطفه، ومشاعره، وهدّد الطمأنينة في نفسه. فقد شعر أن كرامته قد هُددت، وأمانيه قد جُرحت، فهو عرضة للسجن، والنفي، والتشريد، والتعذيب، من دون أن يعرف سبباً لما ينزل به، فالمحتل بعيدٌ عنه في الدّين، واللغة، والتأريخ والتقاليد))[2].

فكان لتلك الأزمات الاجتماعية، ((بالغ الأثر في حياة الفرد منه، إذ كان من جرّائها اضطراب في الحياة اليومية، أثر في نفسيّة الفرد، واختلت عنده موازين الحياة، وتغيرت لديه المثل العليا، فكان حصيلته تردّي الحياة الاجتماعية بشكل عام، وأصبح الشعب فريسة سهلة تعاودتها العناصر المتنافرة، فوزّعت القوى العامة، وعينت للناس سلوكاً خاصاً، وطريقة للتفكير محددة)) [3] .

ومن جرّاء ذلك طُبع المجتمع العراقي، بالطابع القبلي أكثر من ذي قبل، نتيجة تشجيع المحتل للنعرات القبلية، والدعوات الجاهلية، من قبيل التفاخر، والتناحر، ومنحت القبيلة سلطات واسعة بدلاً من سلطة القانون، وباتت تتحكم في مصائر البلاد، وسلكت بهم طرقاً متعرجة، جعلت منهم طوائف وقبائل شتى، لكل قبيلة رايتها، وأعرافها، وتقاليدها، وكأنها جمهوريات على أرض واحدة، تجمعها السيوف في ساحات

---

[1] جريدة صدى بابل: العدد:40، السنة الأولى: 1328هـ.

[2] الشعر العراقي الحديث: د. يوسف عز الدين: 233.

[3] ثورة العشرين في الشعر السياسي: د. إبراهيم الوائلي: 165. مطبعة الأيمان: بغداد:1963.

الوغى، وتفرقها الأحقاد، فاستحوذ على عقول أبنائها الإيمان بتقاليد القبيلة، والذود عنها، ((فأصبح طابع المجتمع العراقي هو الطابع القبلي، لأن أغلب سكانه من العشائر، التي احتفظت بعاداتها التقليدية كالاعتزاز بالإنسان، والتفاخر، واتباع نظام خاص في شؤونها الاجتماعية، من زواج وطلاق، وديات قتل وأخذ للثأر)) [4] .

فقلما كانت تمر حقبة في العراق من دون أن يقع فيها قتال على وجه من الوجوه: ((إمّا القتالُ بين القبائل بعضها مع بعض، أو القتالُ بين القبائل والحكومة، أو بين المحلات في المدينة الواحدة، أو بين القبائل والمدن، أو بين المدن بعضها مع بعض، أو بين المدن والحكومة)) [5].

وما أسهل هجر الديار عند قبائل الريف، وشن الحروب مع بعضها، عندما تتعرض تلك الأعراف للخرق أو التعدي، ((فصيانة مشاريع الري العمرانية ووفرة الإنتاج الزراعي موقوف على استقرار تلك القبائل باحترام أعرافها)) [6]، ولما كان ذلك محال تحقيقه، وطالما تخدم مرامي الطامع المحتل، نتج عنه، ((فشل الانتاج الفكري والاقتصادي، وعمّ الفقر الطبقات، وأهملت المشاريع العامة))[7].

فتحول العراق - بمدنه المختلفة - إلى مدن عّمها الخراب، ونزل بها الدمار من كل جانب، ((فقد كانت المدن في غاية الانحطاط، والخراب، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إنها لم تكن ((مدنا)) بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة في العالم المتحضر، بل هي كانت أشبه بالقرى منها بالمدن)) [8] .

أما بيوت((الريف)) فهي أشبه ما تكون بمرابط الخيل لا تصلح لسكنى الآدميين،((فقد كانت تعتمد في إنشائها على الطين، واللبن، والقصب، وسعف النخيل، وتبنى على غير ترتيب ونظام، بينما كانت مساكن ((البادية)) تقام من بيوت الشعر،

---

[4] الشعر السياسي العراقي: د. إبراهيم الوائلي: 72.

[5] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د. علي الوردي: 166.

[6] علي الشرقي حياته، وأدبه: عبد الحسين مهدي: منشورات وزارة الثقافة والأعلام في العراق:1981.

[7] أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث: فيليب ايرلند: ترجمة جعفر خياط: دار الكشاف – بيروت – 1949.

[8] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د.علي الوردي:119.

كما هو معروف لدى البدو المترحلين. أما منازل المدن فهي خليط من هذا وذاك ومن الآجر والصخر والجص)) [9] .

وبشكل عام فان بيت العائلة العراقية - آنذاك – ولا سيما في المدن ونتيجة فقدان الأمن، وانتشار الرعب كان يصمم على أشكال حصينة، وقلاع مانعة، وهيئات ضخمة، ((فهو أشبه ما يكون إلى الحصن الذي لا يسمع فيه الصوت إلا بتكلف، وغالباً ما يلاحظ على جدرانه رموزٌ للتعويذ، كقرن غزال، أو كيس مملوء بحب الحرمل، أو العفص وكثيراً ما يستوقف الناظر إليه التصاق قطع الخزف الأزرق على واجهته، أو كتابة المعوذتين على عتبته، وكانت أثاثهُ بسيطة وبدائية الصنع، وللمرأة حدودٌ خاصة فليس لها حق الدخول الى القسم المخصص للرجال، والذي يسمى بـ((البّراني))، وهو محل لاستقبال الضيوف)) [10].

فضلاً عن ذلك ففي خضم تلك الأجواء الموبوءة انتشرت الأميّة، وتفشى الجهل، وسيطرت الخرافات والأوهام على العقول والأذهان، وشاع السحر والشعوذة، فانحرف الناس عن العقيدة الصحيحة، وجوهر الدين الحنيف، ((فكان من جراء ذلك تفكك المثل، وتعيين سلوك خاص للناس أثرّ في خلقهم، والتزاماتهم))[11]، فتحجرت العقول، واظلمت النفوس، واستبدل النور بالظلام والمعرفة بالجهالة، وأصبح المباح حراماً يدان به، ((فقد كان السواد الأعظم من الناس ينظرون شزراً إلى كل شيء جديد، ولو كان في حد ذاته مشروعاً أو نافعاً. فدخول المدارس حرام، وقراءة الجرائد حرام، وتعليم أية لغة أوربية حرام، وكذلك حرموا لبس القبعة، والأكل بالملعقة، وربما الجلوس على الكرسي. حدثني صديق أنه كان في أيام شبابه يقرأ الصحف سراً، فهو يحملها تحت عباءته، لكي لا يراها الناس، ويجتمع مع بعض أصحابه في أحد البيوت من أجل مطالعتها)) [12] ، وهذا النص يوضح لنا بجلاء مقدار البدائية والسذاجة والسطحية

---

[9] الشعر السياسي العراقي: د.ابراهيم الوائلي: 72.

[10] الأحلام علي الشرقي: 120، شركة الطبع والنشر الأهلية - بغداد – 1963.

[11] أربعة قرون من تأريخ العراق: فيليب ايرلند:120.

[12] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د.علي الوردي: 342.

التي عاشها أبناء عصر الجواهري. وإذا توغلنا في دراسة تلك الحقبة، بشيء من التفصيل، فسنجد أمامنا مشكلات استعصت علاجها بعد أن استفحلت، نتيجة الإهمال بانشغال الناس بالسياسة من دون غيرها من الأمور[13]، ومن هذه المشكلات التي كانت تهدد كيان المجتمع برّمته: الفلاح، المرأة، التعليم والصحة، الفقر.

1. **الفلاح:** فحالته كانت تدعو للألم والحسرة الموجعة، ((فلم يصبه أي تطور اجتماعي ملموس طوال هذه الحقبة، لأن أكثرية مالكي الأرض أو المهيمنين عليها، هم من رؤساء العشائر الذين يستخدمون أبناء العشيرة لمنافعهم الخاصة، وقد فقد الفلاح الضمان الذي يحميه، ومن ثم أن الشيوخ راحوا يستولون على الأرض ويسجلونها باسمائهم، بعد أن كانت تسجل باسم العشيرة وتبقى باسم الدولة)) [14].

فهناك ضغط آخر يقع على عاتقه من جراء فقره المدقع، ((فهو لا يملك أرضاً خاصة به، إنما هو يزرع في بقعة من الأرض يخصصها له الشيخ، والحاصل الزراعي منها يقسم إلى ثلاثة أقسام: يذهب أحدها الى الشيخ، ويذهب الثاني إلى الحكومة، أمّا القسم الثالث، فهو من حق الفلاح)) [15]، فهو أجير مستمر يشتغل عند الملاّك والشيوخ لاستحالة تسديد ديونه من الحصة الضئيلة التي يتسلمها، فهو لا يأخذ إلا حصصاً تتراوح بين(50%) – (40%) وقد لا يتجاوز حقّه من الإنتاج (25%)، وقد قدرت الباحثة الانكليزية ((دورين وارنر)) دخل الفلاح العراقي بين خمسة باونات، وخمسين باوناً، ومن هذا المبلغ يصرف لطعامه، ولشرابه، وكسوته ولأسرته.

وليس للفلاح قانون يحميه من الاقطاعي، فهو يطرده متى اراد، ويلاحقه بالديون التي أخذها ليأكل بها وليعيش، وقد حكمت بعض القوانين عليه بالبقاء في

---

[13] وقد كتب الشرقي يصف هذه الحالة: ((فلا نرى في الامة الا سياسياً وسياسة، حتى كأن الجمهور العراقي كله طائفة سياسية. فالسياسة في الجوامع، والمخادج، والمقاهي، والأسواق، والطرقات والمدارس، وغرف المحاماة، والثكنات العسكرية، فالبقال، والفلاح، ورجال العلم، ورجال الدين ورجال المال، والحوذية، وسواق السيارات كلهم سياسيون، وكل العراق موجات سياسية، وقد عم الطوفان السياسي حتى حانوت الخباز)) ، ينظر: جريدة النهضة العراقية (العدد)(30)السنة الأولى: 1927.

[14] الشعر العراقي الحديث: د.يوسف عز الدين: 255.

[15] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي:د.علي الوردي:208.

خدمة الاقطاعي حتى يسدد ديونه، ولا يجوز لمالك آخر أن يستخدمه ما دام مديناً بمبلغ لمالك غيره[16] ، وقد جاء في هذا القانون ما نصّهُ: ((فالسلطات تلاحقه وتحجز أجرته اليومية، لتسديد ديون الاقطاعي)) [17].

ويذكر (الوردي) من الأمثال الشائعة في الريف ((الدَّين رزق))، ((ولهذا تجد الديون تتراكم على الفلاح في أكثر الأحيان، حتى إذا حلّ موعد الوفاء، وجد نفسه عاجزاً عن الأداء، وهو عندئذ يضطر إلى إعادة تسجيل الدَّين عليه، مع إضافة رِبَا جديد اليه، أو هو يعمد إلى الاستدانة من شخص آخر، لكي يوفّي دينه القديم)) [18]، هذا من جانب، أما الجوانب الاخرى، فلم تكنْ أفضل حالاً، ((فالماء النقي كان يعد من الكماليات التي لم يفكّر فيها الفلاح، فقد اعتاد أن يشربهُ من النهر مباشرة، ويعيش مع حيواناته في حجرة لا نوافذ لها، لأنه يخشى البرد القارس إذا فتح نافذة، وفي بعض المناطق يسكن الفلاح في صَرائف معمولة من الحصر والباريات، وقد يفترش الأرض، أو يبني دكّة من الطين مرتفعة عن الأرض قليلاً)) [19]، بهذه الطريقة المزرية كان يعيش الفلاح في عصر الجواهري، بين الفقر المستديم، والسغب الدائم، وبين العبودية والإذلال.

2. المرأة وواقع التعليم في العراق:

كانت ((المرأة)) في عصر الجواهري تعيش أوضاعاً سيئة، وحالات مزرية، سلبتها إنسانيتها بوصفها انسانة من حقها أن تحيا على البسيطة، وأن تنال نصيبها من الحياة، بعد أن صان الاسلام كرامتها، وحفظ حقوقها، ولكن نتيجة التخلف في مناحي الحياة المختلفة، عكس بظلاله على المرأة في المجتمع بطريقة قاتمة، مما جعل كثيراً من الباحثين يشعروا بالحرج، عندما يبغون الحديث عن المرأة في تلك الحقبة، لعدم

---

[16] ينظر: قانون حقوق، وواجبات الزراع: (رقم)8 لسنة: 1933.

[17] المادة: (16) ب. من القانون المار الذكر.

[18] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د.علي الوردي: 208.

[19] الشعر العراقي الحديث:د.يوسف عز الدين:255.

انسجام وضعها مع الصورة المشرقة التي رسمها لها الاسلام في تعاليمه الحنيفة، فهي فريسة تقاسم آدميتها، ظلم الرجل، وقسوة المجتمع، فضلاً عن تلك الفتاوى الضالة والمظللة من قبل علماء الدين والتي أغمطت المرأة حقوقها، وسلبتها كرامتها،وهم يحسبون أنهم بذلك يحسنون صنعاً للدين، وإحساناً للمرأة، من حيث لم يشعروا بأنهم قد نزلوا بها أحط المقامات، وأسفل الدركات،((ويمكن القول أن حال المرأة في أكثر أنحاء الريف العراقي وخصوصاً في مناطق الأهوار أصبح كأنه من قبيل الحيوان، أو الرقيق. أما المرأة في المدينة، فهناك تقاس عفّة المرأة بمقدار تشددها في التستر، واعتكافها في البيت، فإذا أراد الناس وصف فتاة عفيفة قالوا عنها: إنها بنت بيت)) [20] ، ويذكر الدكتور((يوسف عز الدين)) عن تلك الحقبة الحالكة، التي مرت بها المرأة في العراق ما بين القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ((بأنها كانت محجبة لا يسمح لها بالخروج من الدار، الا في النهار، وتحت مراقبة شديدة)) [21]، وكان البعض يعتقد، ((أن للمرأة حقاً في الخروج من دارها مرتين طول عمرها، المرة الأولى عندما تُزف إلى زوجها، والمرة الثانية تموت، فتخرج جنازتها من البيت إلى القبر)) [22]، وكان الرجل يفتخر أمام الآخرين بـ((أن زوجته لم تر عتبة الباب، منذ سنين عديدة)) [23]، وإذا ما خرجت لضرورة ملحة، كمناسبات الأفراح والاتراح، ((عليها أن تمر في الدروب الضيقة ، والأزقة المتعرجة، بعد أنْ أسدلت على جسمها العباءة السوداء، أو العباءتين، وتبرقعت ببرقع أسود، لا يرى منها شيء، وقلما كنا نرى امرأة مسلمة تمر في السوق، بل إن مجرد سماع العراقيين ذلك يهزّ أعصابهم ويُخيفهم)) [24] ، لأنها كانت بعيدة عن المجتمع العراقي، ((ولم يكن يسمح لها بالاختلاط مع الرجال، فقد كان الوالد يريد أن يتخلص من ابنته، مفضلاً عليها الولد مهما كانت درجة فضلها وخلقها، فقد كانت ممنوعة من تعلم القراءة والكتابة، كيلا

---

[20] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د. علي الوردي:280

[21] الشعر العراقي(أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر): د. يوسف عز الدين:24:ط1، بغداد:1958.

[22] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د.علي الوردي:280.

[23] الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر: د. يوسف عز الدين: 24.

[24] المصدر نفسه: 24.

توصلها إلى أغراض فاسدة)) [25] ، وكان هذا العرف سائداً بين الناس،((لذا كان الإنسان لا يجرؤ على الدعوة إلى تعليمها خوفاً أن تؤدي معرفتها بالكتابة إلى فساد أخلاقها)) [26] ، بذلك انتشرت الأمية، وعمّ الجهل والجهالة بين النساء،((إن حالة المرأة في مدينة بغداد، حالة يستحي القلم من تحريرها، لأنه لا يوجد بينهن واحدة من عشرة آلاف من تحسن القراءة. والسبب الأعظم هو تعصب سادتنا ((علماء الدين)) ضد تعليمهن))[27] ، وقد أفتى رجال الدين بحرمة تعليم النساء، تحريماً قاطعاً، بعد أن حرموه على الرجال من قبل، تحت ذريعة أن المدارس مجلبة للفساد مناقضين بذلك مبادئ الشريعة السمحة التي تحث على طلب العلم من المهد، إلى اللحد ناسين أو متناسين قول الرسول(ﷺ): ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))، ففهموا هذا النص في ضمن مدلول ضيق،ومفهوم قاصر ،فحصروا التعليم في المساجد من دون المدارس، ولأفراد قلائل من المجتمع،ممن يقطنون كبريات المدن العراقية، لذا ((لم نجد للتعليم ظلاً إلا في المساجد وفي المدن الكبرى، وبحدود ضيقة، ولولا عناية بعض رجال الدين في مساجد بغداد، والبصرة، والموصل، والنجف، لقضي على اللغة العربية)) [28].

فرجال الدين كانوا ينظرون إلى المدارس النظامية[29] بأنها مدارس تبشيرية، تحركها أيد إستعمارية هدفها الغزو الثقافي والفكري، ولعل فتاوى تحريم دخول تلك المدارس، كانت مبنية على هذا الأساس، ونتيجة لتقليد العوام لمشايخهم من رجالات الدين انعكس ذلك على سلوكهم وافكارهم،((فقد كان العامة ينظرون إلى تلك المدارس

---

[25] الاصابة في منع النساء عن الكتابة: نعمان خير الدين الآلوسي: مخطوط نقلاً عن كتاب ((الشعر العراقي الحديث)): د. يوسف عز الدين:229.

[26] جريدة العرب: (العدد)701: السنة الثالثة: 1909.

[27] جريدة الرقيب:العدد:74:السنة الاولى:1909: ذي الحجة.

[28] الشعر العراقي الحديث:د. يوسف عز الدين:155.

[29] ((فقد كان في العراق نظامان للتعليم. رسمي تابع للدولة العثمانية، ويقتصر على مرحلة الدراسة الابتدائية، والرشدية، ثم اتمامها في (اسطنبول) لمن اراد الاستمرار في تحصيله العلمي. ونظام تقليدي يعد استمراراً لنظام التعليم في العصر العباسي.

نظرة ريبة واتهام، وكان بعضهم يعدها عباءة للفساد الخلقي، والانحراف الجنسي،وظل بعض الآباء متمسكين بمبدأ التحريم، فمنعوا أبناءهم من دخول المدارس،ظناً منهم أنهم يحفظون دينهم، وأخلاقهم، ولكنهم وجدوا أبناءهم قد فسدوا من جهة أخرى)) [30] .

وإذا كان الرجال – وتحت ضغط الواقع الفكري والتقدم الحضاري – قد نالوا قسطاً من التعليم،فان المرأة ظلت بلا نصيب منه - ولزمن غير قصير - فقد ذكرت التقارير في حينها، ((انه لم تؤسس في سنة(1920)-(1921) غير ثلاث مدارس للبنات، بينما كان عدد مدارس البنين (85) مدرسة، ووصل في السنة الثانية الى(27) مدرسة، حتى وصل العدد عام (1953)-(1954) إلى(256) مدرسة))[31]، فالفارق العددي القائم بين مدارس الذكور والاناث وبنسب كبيرة، هو بطبيعة الحال انعكاس جلي للنظرة الدونية والتقييم التسافلي للمرأة – آنذاك – ولا يخفى على أحد، أن هذه النظرة قائمة وإلى يومنا هذا نتيجة للموروث المتغلغل في العقول والنفوس.

3. الحالة الصحية:

الحالة الصحية مرهونة في كل بيئة، بمدى تطور المجتمع من عدمه، إذ لا يتصور –عقلاً– بناء مجتمع صحي في ظل واقع متخلف، فقد فيه الفرد، الحدود الدنيا من حقوقه الآدمية، فانعدام البنى التحتية من خدمات عامة، ومؤسسات صحية، جعل الفرد العراقي يعيش حياة بدائية، موكول أمره الصحي للأقدار السيئة التي صيرته - ونتيجة الإهمال المتعمد – فريسة سهلة للأوبئة القاطنة والمستوردة.

ولقد ذكر صاحب غاية المرام مانصه: ((فقد كانت الحالة الصحية متردية، نتيجة إهمال الدولة لشؤون البلد، فلم يكن في بغداد أطباء باعداد كافية للإشراف على المرضى، فغدا العراق مرتعاً للطاعون الذي يفتك من دون رحمة، ودون أن يقف أمامه شيء، حتى

---

[30] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: د.علي الوردي: 347.

[31] التقرير السنوي لوزارة المعارف:1953-1954: بغداد:1955 نقلاً عن كتاب :الشعر العراقي الحديث:د. يوسف عز الدين:255.

غدت الجثث طعاماً سائغاً تعودت عليه الكلاب)) [32]، واذا كان هذا النص يشير إلى حالة العراق في القرن التاسع عشر، فهو بلا شك يصف حالة العراق حتى منتصف القرن العشرين.

ومما زاد الطين بلّه، والحالة تدهوراً، شيوع ظاهرة، الطب الشعبي، الذي كان غالباً ما يقضي المريض نحبه على يد ما يسمى بـ((الحكيم)) الذي كان يتخذ من مرضاه حقولاً لتجاربه الطبية، ومرتعاً خصباً، رخيصاً، لإظهار مهاراته الفردية، فكان ماكان من موت يوهب سراعاً، وما بين عاهة مستديمة نجد آثارها على شخوص من وهبهم الله،طول البقاء من أبناء ذلك الجيل.

4. **الفقر:**

إن مشكلة الفقر من المشكلات المتمركزة في((مدن)) العراق بشكل عام ((والريف)) بشكل خاص، مما شكّل عقدة مستعصية في نفوس أهل العراق، فهو رفيق دهرهم، وقرين حياتهم، وقد صدق السياب حين وصف حالهم فيما بعد((ما مر عام، والعراق ليس فيه جوع))[33]، فـ((أغلبية الشعب العراقي في فاقة لا مثيل لها في العالم المتمدن، فهم محتاجون الى الطعام الضروري،بل الى المسكن، والملبس، وبيوت الفقراء قذرة،يعيش الفقراء جماعات متكتلة في غرف غير صحية مظلمة، وإذا أمطرت السماء امتلأت الدور بالأوحال والأطيان، وقد لا يغير الفقراء ملابسهم حتى تبلى، ولولا النوم في الهواء الطلق،وحرارة الصيف التي تستمر حوالي ستة أشهر فتقتل الكثير من الأمراض، وتغذي الجسم بالشمس، لبلغت نسبة الوفيات عدداً هائلاً))[34]، وقد كان المريض يلقي حتفه من دون أن يرى الطبيب، إما للضعف المادي أو لعدم العناية، فيترك للقضاء

---

[32] غاية المرام: ياسين العمري: 227. مخطوط نقلاً عن الكتاب ((الشعر العراقي الحديث)): د. يوسف عز الدين: 229.

[33] ديوان انشودة المطر: بدر شاكر السياب: 164.

[34] الشعر العراقي الحديث: د. يوسف عز الدين: 262.

والقدر فارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال، ((فاكثر الأطفال يموتون من سوء التغذية، وأكثر الوالدين مصابون بأمراض معدية)) [35].

ومن الجدير بالذكر أن الفقر لم يكن محصوراً بالطبقة الكادحة من عمال وفلاحين، بل شمل الطبقة المثقفة أيضاً، ((إن جلّ الأدباء - من الكتاب والشعراء- كانوا من الفقراء الذين لا يملكون قوت يومهم، وقليل منهم من كان من ذوي الطبقة المتوسطة)) [36]، وقد اختص الفقر ((أولئك الشعراء الذين حملوا راية الشعر العربي الملتزم بهموم الوطن والأمة،ولم يخفضوها على الرغم من عنت سلطات الاحتلال العثمانية، ثم الانكليز فيما بعد وظلت هذه الراية مرتفعة في عهد الحكم الملكي منذ عشرينيات هذا القرن)) [37] ،وكان في مقدمة هذا الرهط((محمد مهدي الجواهري)) الذي آثر الفقر على الغنى، والزهد على الترف، وله مواقف مشهودة في هذا المجال، فقد ذم المتكسبين بالشعر، وعدّهم من المرتزقة المارقين، ففي قصيدته ((إلى شوقي وحافظ)) يقول:

أأنا الذي اتخذ البلاد شعاره ... أمْ هم وقد لَبسوا ثيابَ نِفاق
في كلِ يومٍ في رداءٍ وفق ما ... تقضي بذاك مصالح الأوراق
وأنا وأخلاقيْ كما علم الورى وأجل ... أمْ همْ وفيهم سوءةُ الأخلاق
من هبةٍ يُذلُ بها الفتى ... أشعارهُ صبرٌ على الإملاق [38]

فإنه في هذه الأبيات ((يقارن بينه وبين غيره، ناعياً على المتكسبين بالشعر، والذين يهبطون إلى الذل والهناة من أجل زهيد من المال.))[39] لانه قد أدرك أن لكل شيء ثمنا،وثمن الشعر الملتزم، الفقر والفاقة، متأسياً بذلك بمن سبقوه من أرباب هذا الخط أمثال: المتنبي، والرصافي، والكاظمي، وغيرهم... كثير يقول

---

[35] نشرة الاحصاء الصحي والحياتي: وزارة الصحة: 127: بغداد: 1955. نقلاً عن كتاب: الشعر العراقي الحديث: د.يوسف عز الدين: 262.

[36] الشعر العراقي الحديث: د. يوسف عز الدين: 268.

[37] شعراء عراقيون: منذر الجبوري:5، دار الطليعة: باريس: 1977.

[38] الأعمال الشعرية الكاملة: الجواهري: 1: 143.

[39] الجواهري شاعر العربية: الدجيلي: 381.

الجواهري: ((لم أجد من ينافسني على مثل(هذه النعمة!!) وحتى المتنبي العظيم، لقد كابد ما كابدت، وتحمل ما تحملت، وتهجّر ما تهجّرت وشرد بمثل ما شرِدّت، ولكنه مع هذا كله فقد كان يقرب يومه الأخير بنفسه، وكأنه يريد أن يختزل كل مرارات الحياة التي ذقتها بعده بأكثر من أيامه بثلاثين عاماً)) [40] ، ثم يمضي الجواهري مستفهماً بقوله: ((لماذا يموت الرصافي في عاصمة وطنه،على سرير حديدي عتيق، مما يباع في سوق المزاد،بأقل من دينار.؟، ولماذا لا تسدل عنده ستارة حتى وإن من قماش رخيص على النوافذ الزجاجية، التي تضج بما يشبه وهج النار من قيظ العراق؟ولماذا لا يوجد كرسي في حجرته، وإن من خشب عتيق، ليستقبل عائداً من عوّاده، لو كان هناك من يعوده؟ ولماذا يرحل الكاظمي بعيداً عن وطنه معدماً ومحتاجاً، ليموت في القاهرة)) [41].

وبعد هذه الاستفهامات المتكررة، يردف قائلاً: ((أنا واحد من هؤلاء. وكلنا في حقيقة الأمر لا نتجزأ لا بقليل ولا بكثير... انا واحد من هذه الضحايا النواشز. في وطنهم العراق بالذات)) [42]، فقد تجرع الجواهري كؤوس الفقر، ومرارة العوز في أطوار حياته، ((فقد ربّي كما يروي في سيرته على الكفاف– حد السغب)) [43]، قضى جلّ حياته، وهو مثقل بالديون ولم يكن يؤمن بمبدأ الوفاء بالدين، لأنه ليس لديه ما يسدده،

---

[40] مذكراتي: الجواهري:1: 266.

[41] المصدر نفسه:1: 267.

((يذكر الجواهري انه كان في حضرة الرصافي في داره إذ جاءته امرأة وقالت له وبالحرف الواحد:يا استاذ..الرصافي..أنا بحاجة ماسة لدفع دين علي هو خمسون ديناراً، فما كان من الرصافي ،الا أن صمت لحظة، ثم تحدرت دموعه...ودهشت بنت الناس هذه،ولماذا دموعك هذه يا استاذ... الرصافي((إنني لا أستحقها وأنا من تعرفني؟!)) فقال لها: ((يا ابنتي ليس لأنك أنت بالذات المحببة إلي والتي تطلبين مثل هذا المبلغ الزهيد،ولكن لمجرد أن إنساناً يطلب مني حاجة، وأنا عاجز عن تلبيتها))

ينظر: مذكراتي: الجواهري:1: 270.

[42] المصدر نفسه:1: 267.

[43] مجلية الثقافة الجديدة: 46. ت2: كانون الأول: 1977.

باع أثاث بيته، وباع مطبعته، وغرمته المحكمة (300) روبية بسبب مقال: ((إسمعي يا وزارة المعارف)) فيقول: ((ولم أكن أملك حتى المائة الأولى منها)) [44] .

وفي بدء الثلاثينيات أصبح الجواهري يتنقل بين مقاهي ((بغداد)) بعد أن طُردَ من وظيفته،التي كان يشغلها،وأصبح بلا مورد مالي، ((إن السنوات الثلاث المطلوبة هذه تعني ملازمتي البيت أو إن شئت فمقهى (عزاوي) ومقهى(حسن العجمي)..))[45]، وكان الجواهري أيام وظيفته يتقاضى مبلغاً شهرياً مقداره (150) روبية، ولكنه فوجئ بأن (الملك) قد أمر بايقافه، وقد أورد ذلك في مذكراته قائلاً: ((كان يغنيني عن البرم بحياتي ما خصصه لي الملك، أو في الحقيقة ما خصصه((نوري السعيد)) بوساطته، وأعني بذلك (المائة وخمسين) روبية التي كنت أتلقاها، فهي تكاد تكون أكثر من كفاف في العيش، لامرئ من طبقتي المتواضعة، ولكن هذا شيء، وأن أكون جليس الدار وبرغمي فشيء آخر، وكان هذا أخر عهد، وأخر ساعة إذ لم أعد بعدها لأتسلم الراتب)) [46].

وعلى الرغم من هذا الحرمان، والجو الخانق، كان الجواهري يتلذذ بتلك الأيام البائسة، وعدّها أبدع حقبة في حياته الأدبية في مرحلة الشباب، ((كنا نجتمع في مقهى (حسن العجمي) في الحيدر خانة، شلة من الشباب الصاعد، وكنت في الصميم منهم، فما أن أصل حتى يتبدل الجو إلى ألطف، الحديث الى أجمل نجتمع، نتلهى، نأنس،ثم نذهب إلى الباب الشرقي،ونرتب أمورنا المادية ،روبية أو نصف روبية من كل واحد)) [47] .

---

[44] مذكراتي: الجواهري:1: 26.

((أستأذنت القاضي (عبد العزيز الخياط أن يمهلني أسبوعاً لكي أدبر أمر الغرامة فأمهلني.قصدت النجف ورهنت سجاداً كان في البيت بالمبلغ المطلوب،إلا أني تأخرت عن الموعد فابرقت اليه بالسماح لي بضعة ايام أخر فأذن لي))

[45] المصدر نفسه:1: 76.

[46] المصدر نفسه:1: 271.

[47] المصدر نفسه:1: 26.

وظل الحرمان يلازم الجواهري، حتى راح يؤرقه، ويقض مضجعه، ليعيش صراعاً مريراً بين عقله ونفسه في خضم من الاسئلة الاستفهامية، التي لم يجد لها أجوبة مقنعة بعد، لماذا تبخس الشعراء حقوقهم؟ ((لمَ أنا الجواهري أحرم الأشياء؟ لمِ لا يتهيأ لي منها، ما يتهيأ لغيري؟ تقول إنك شاعر نضال، وأقول: أحرام على شاعر النضال أن ينال مناه، أن يعطى حقه في الحياة. أن ينال ثمرة النضال، كما نال الآخرون من ناضل ومن لم يناضل فإن كان نعيم، فأين حظي منه؟ وإن كان نضال فأين أرضيته؟))[48].

فيا ترى هل نال الشاعر نصيبه من الدنيا؟ يكمن الجواب بالنفي في قصيدته المشهورة يقول: ((سائلي عما يؤرقني)):

سائِلي عمّا يؤّرقنِي ... لا تسلْ عنّي ولا تلُم
يا حبيبي والمنى قسمٌ ... بين مرجو ومغتنم
حاجة ريَمتْ فما امتنعت ... عشت منها أتفه القسم
وحويجاتٌ هتفت بها ... فسددن السمعَ بالصّمم
وانزوتْ في النّفس ثالثة ... بعدت شأوا فلم ترم [49] .

فالقصيدة لوحة صادقة تعكس خلجات نفس الشاعر، ولكن ((حتى الآن لم يعرف ما إذا كان الشاعر نادماً على فرص مواتية للثراء ضاعت من بين يديه،وما إذا كان لا يشعر بمرارة وهو يجيع أهله، وكان قادراً على أن يكون وأولاده في رغد من العيش))[50].

ونتيجة تناقضات شخصيته يبقى الجواب مبهماً، والسؤال محيراً، ففي قصائد له يشكو فقره وحاجته، وفي أخرى يحبب الفقر ويتقرب الى الفقراء، فهو في صراع دائم،ومعركة مستمرة، لا يخمد أوراها، ولا تنطفئ نارها، مقسم بين حاجاته الجسدية، وبين

---

[48] وراء الأفق الأدبي: د. علي جواد الطاهر:192.

[49] الاعمال الكاملة:6: 968.

[50] الجواهري...قصائد قادمة من حضارة الكوفة: حسن العلوي:107 ((الجواهري وسمفونية الرحيل)): خيال الجواهري.

نفسه الأبّية، التي تسمو في فلسفتها على الحاجات المادية الفانية. ((فيحاسب نفسه، ويعريها تعرية تامة، ليبعد الأولى، ويتمسك بالثانية، كما في قصيدة: ((أزح عن صدرك الزبدا)):

وتطمـــــعُ تجمـــــعُ القمـــــرين فخرهُمـــــــا أنْ انفـــــــردا

تضيق بعيشةٍ رغـــدٍ وتهوى العيشـةَ الرّغدا[51]

وهكذا في قصيدة (سائلي عما يؤرقني)، ففي البيت الرابع منها يبغي- وبشكل واضح – حظه من الدنيا،وقد أوجزه في إطاره المادي وعلى ما يبدو أنها حاجات بسيطة، سهلة التحقيق، إن كان هناك قسط من العدل في الحياة، بدلالة أن اللفظة قد جاءت (مصغّرة) ((وحويجات هتفت بها))، وكل القرائن تشير إلى أن الشاعر قد تعمد مثل هذا الاستخدام، ليوضح أنه قد حُرِمَ من أتفه الأشياء،ربما يكون هذا الشيء منصباً يستحقه جزاءً لنضاله الشائك، شأنه في ذلك شأن المتنبي، أو أن يكون عيشاً رخياً، وهي منية كل الشعراء(الرومانسيين)، أو أن يكون،((عدداً من الدنانير يحل أزمة عابرة،ويفرج كربا ملما)) [52]. ولكن وبشكل مفاجئ ودون فواصل يتحول الجواهري بنقلة فنية فلسفية،من حويجات محدودة،إلى حاجة مطلقة،مبهمة،كامنة في أغوار نفسه،((وهنا على بساطة المطلب، ووضوحه يتعقد الأمر،ويصعب فهم الجواهري على الناس)) [53] ، كما في البيت الخامس: ((وانزوت في النفس ثالثة))، وربما قاله الشاعر ليلوذ، ((ببراغ التي طالما أنسته همومه، وأبعدته عن أن يقف إزاء صغائر الحياة وجهاً لوجه– من يدري وفي الأبيات ما يحتمل هذا أو ذاك... وأشياء في نفس صاحبها.. أيقظته على عالم موحش من أوهامه الخداعة. إنه يستوي في الطبقة الشاعر والمتشاعر، العظيم والخسيس فإن حاله أشد لأنه في مجتمع،وبعد الف سنة ((يجلد العقبان بالرخم))، كأنه

---

[51] الاعمال الشعرية الكاملة: الجواهري:6: 1002.

[52] وراء الأفق الادبي: د.علي جواد الطاهر:192.

[53] المصدر نفسه: 193.

يقترب بذلك من السبب المباشر، ولكنه لا يذكره لتفاهته إذا قيس بعظم الحال التي هو عليها)) [54] .

على رغم هذه التحولات والتناقضات، ونتيجة فقره المستديم يخلص إلى فلسفة مفادها: إما المال، وإما الخلود،وبطبيعة الحال انحاز إلى الخلود، الذي طالما قاتل من أجله طيلة حياته،كما في قصيدة: (ابو العلاء المعري):

وأنَّ للعبقريّ الفذِّ واحدةً إمّا الخُلودَ وإمّا المالَ والنَّشَبا[55]

وعندما يسن الجواهري لأهل الفكر هذه السُنّة، ويجعل الخلود في مكان ، والمال في مكان آخر،((يشيع في شعره الدعوة لحياة المعري، ويخاطب الرصافي في عزلته الموحشة، وهو يدلف الى الثمانين مؤكداً نظرية(ذي النون المصري) مستمتعاً بلذة العيش المستحيل)) [56] على طريقة (المعري) قائلاً:

تمرَّستَ بالأولى فكنتَ المُغامِرا وفكّرت بالأخرى فكنت المُجاهرا به
وفضَّلتَ عيشاً بين تلك وهذه كنتَ، بل لولاهُ ما كنتَ شاعرا[57]

ولكن((الرصافي)) قد أنكر على الجواهري من تفضيله حياة الفقراء[58] ، وإنما فرض عليه الفقر كرهاً، بسبب مواقفه الوطنية المعروفة .

---

[54] المصدر نفسه والصفحة.

[55] الأعمال الشعرية الكاملة: الجواهري:422.

[56] الجواهري...قصائد قادمة من حضارة الكوفة:حسن العلوي:156. ((الجواهري وسمفونية الرحيل)): د.خيال الجواهري

[57] الأعمال الشعرية الكاملة:3: 418.

[58] فقال الرصافي :

وما كنت مختاراً كما أنت قائل من العيش ما لولاه ما كنت شاعرا
ولكن هي الاقدار تجري بغيرما يريد الفتى جرياً على الأمر قاسرا

نشرت قصيدة الرصافي في جريدة: ((الرأي العام)) العدد 1019 في 27 آيار 1994.

وهذه الصور تكشف بجلاء مدى الحرمان الذي لحق بهذه الكوكبة الأدبية في ذلك العصر، والذي يعد بحق عصر الشقاء الحقيقي للمجتمع العراقي على وجه العموم وللكتاب والادباء على وجه الخصوص.

الجواهري شاعر التمرد الاجتماعي:

لم يتخذ الجواهري تجربة الشعر، أداة تسلية، أو سبيل ارتزاق ،كما لم يكن شاعراً((رومانسياً)) يحلّق بأجنحة الخيال إلى عوالمه المثالية ،البعيدة عن عوالم الواقع الاجتماعي، كما لم يكن شاعراً((كلاسيكياً)) يصبّ جل اهتماماته،على انتقاء الألفاظ وتخيرها من دون غيرها، كيما يسبك أسلوبه،أو ينمق قصائده الشعرية، وإنما اتخذ من الشعر وسيلة، لتحقيق رسالة اجتماعية عادلة قائمة على أساس التمرد، المتمثل بمواقف التحدي، واطلاق الكلمة الرافضة، والقصائد الثائرة، وبالصرخة المدويّة، في وجه التخلف الاجتماعي، والانحطاط الخلقي،معلناً بذلك، عن انبلاج فجر جديد، في عالم الشعر ،هو((الشعر الثوري)) المتسم بالتمرد على كل ألوان الظلم الاجتماعي، على وفق((أيدلوجية)) لا تؤمن بالمصانعة،والمداهنة،والمجاملة أو بالأحرى بالخنوع، والخضوع والاستسلام، أو اليأس.

وبذلك يعد ((الجواهري)) فيلسوفا ثائراً،في ثوب شاعر، أراد أن يقيم(جمهورية أفلاطون)على أرض الرافدين بقوة الكلمة، وباحتجاج الحرف وثورة الشعر في شعره الثوري، ولا سيما إذا قادت مجريات الأحداث، إلى نهايات مخيبة، فإنه سرعان ما كان يلجأ، إلى حسم المواقف بمبدئية، والرحيل بعيداً،نحو عذابات الغربة،((منتصراً لحرية الفكر، واستقلالية القرار، وشرف الشعر ،الذي لا يتنكر لتأريخه بما فيه من أخطاء أو عثرات، ولكنه يرفض رفضاً مطلقاً التبعية ، أو القسرية أو التزييف)) [59] . فقد كان حاضراً مع الجماهير في جميع معاركه، ضد الظلم،والجور ،والتعسف أياً كان مصدره، ((عاش الجواهري على مدى ((القرن العشرين)) كله، وفي خضم أحداثه العراقية،والعربية، والعالمية الكبرى. عاش الانتصارات الكبرى، والهزائم الكبرى، نرى

[59] تجليات الرفض بين رؤيتين شعريتين: ناديه غازي العزاوي: 3. بحث مقدم إلى (اتحاد الآدباء والكتاب العراقيين) في ضمن أعمال (مهرجان الجواهري) الدورة الأولى. في 2003/7/24. بغداد.

ABSTRACT

Muhammed Mehdi Al- Jawahiry, agreat Iraqi poet, was born in Najaf in 1899. He studied rhetoric while he was very young and begun composing poetry at the age of sixteen .

His first poetic anthology with the title of Halabat Al-Adab (The Circle of Literature) was published before 1927. He edited a number of newspapers and worked as an official in the palace of King Faisel I in 1927. In 1947, he was a member of the parliament for kerbala.In 1948, he taravelled to paris, and then to poland . In 1950, he travelled to Egypt and stayed as a guest of the Egyptian Government.

In 1956 he travelled to Syria and returned to Baghdad in 1957. He went to kuwait as a member of the Iraqi Cultural Delegate. Al- Jawahiry migrated to prague in 1961 until 1980. Then he remained in Syria until he died in 1997 and was buried in Damascus.

This Al- Jawahiry becamse of a number of factors environmental, psychological, idiological, social and economical. All these factors participated in constructing the personality of Al- Jawahiry . He was very courageous in declaring his points of view in which challenged the dectators using his poetic talent ln his poetry, he defended

his people who were suffering from hunger and death because of their bad rulers. This thesis also shows the poet's rebellion against the backward social treatment of women . He called for the freedom of women and their equality with men. The thesis studies Al- Jawahiry's artistic rebellion in which he called for poetic modernism both in form and content.

Al- Jawhiry left the unity of the line of verse to the poetic sentence.